

أحس برضا كبير ناظراً إلى نفسي وقد عكست صورتي في واجهات المحلات أو مرايا مقهى كوميرثيو . وإذا ما مرّ قربي صديق ما وسها عن تحيتي ، كنت ألفت انتباهه بفرح لأتجنب تأنيب الضمير لأنني لم أجعله تسرياً لي في الفرح . هكذا كان وضعي تلك الأيام! وأضيفت إلى الخصال الحميدة التي لاحظتها عند ماتيلده عازباً خصالاً آخر وجدتتها عندها بعد الزواج . كانت طيبة ، نظيفة مشفقة وذات يدٍ صناع . وكانت مدبرة بحكمة وترعاني بدلال . يا للمسكينة ماتيلده! ما كان أسرع متبينة الله بإبعادها عن وادي الدموع هذا!

كان مضي على زواجنا خمسة أشهر لما تسرعت في صنع مهد . طفت روما وسنتياغو بحثاً عن خير الأخشاب وأخفها وزناً ، واشتغلت بها بهمة ونظام لا تستطيع أن تتخيلهما . أنفقت ثلاثة أشهر في نحت السرير ونجده ، ثم غطيته بموسيلين شفيف ذي لون أزرق سماوي ، طرزت ماتيلده فوقه حلية على شكل ورود بيض وزهرية لتجذب عقد الهيكل .

وقد صنعت الحشيتة بيدي أيضاً . بالأحرى حشيتتين ؛ إحداهما كبيرة وعميقة من شعر عرف الفرس ؛ وأخرى صغيرة من الريش توضع فوق الأولى... ولا تقل لي كيف اخترت الريش . والآن أضحك من نفسي متذكراً الجهد الذي بذلته . الريش مسألة خادعة جداً . فإذا ما حسب المرء أنه حصل على كمية كافية منه ، بل فائضة ، يجد نفسه أنه لم يحصل على نصف الكمية المطلوبة .

وما كان عليّ غير الانتظار بعد أن فرغت من صنع السرير ، وإن كنت أضيف إليه كل يوم تفاصيل جديدة . في البدء ، فرضت على نفسي الصبر والهدوء . لكنني أخذت أفقدتهما بمرور الوقت شيئاً فشيئاً إلى أن خامرني الشك في أن الله يريد أن يمتحنني ، ولمكافحة هذه الحماسة التي كانت